بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

من الظواهر التى تنبه لها البحث الحديث . وما كان بين دراسات القرآن ودراسات النقد والبلاغة العربية من صلات وتأثير متبادل . ومما لفت الباحثين إلى هذه الناحية ما لاحظوة فى كتب النقد والبلاغة – وعلى الأخص ما ألف منها فى القرون الوسطى الهجرية[1] – من تلاقى تيارين كبيرين ينبع أحدهما من ظواهر البلاغة القرآنية ، والآخر من خواص الجودة الأدبية فى الشعر والنثر .

وقد وجه قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية شطرًا كبيرًا من عنايته إلى هذه الدراسة [2] . ولفت إليها أنظار طلابه وخريجيه . فتناول بعضهم نواحى منها فى رسائلهم لشهاداتهم العليا [3] . وذهب بعضهم ينقب عن مخطوطات المكتبة القرآنية لينشر منها ما يلقى ضوءًا على هذه الناحية .

ورأينا أن نشارك فى هذا الجهد بنشر ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ، لمؤلفين تباينت وجهات نظرهم . واختلفت منازعهم : فأحدهم أديب لغوى محدِّث . وثانيهم نحوى متكلم معتزلى . وثالثهم سُنِّىٌّ شافعى .

---

(١) يبدو هذا جلياً « فى كتاب الصناعتين » لأبى هلال العسكرى (القرن الرابع) . وكتاب « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجانى ، و« سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجى (القرن الخامس) . و« المثل السائر » لضياء الدين بن الأثير (القرن السابع) . وكتاب الطراز ليحيى بن حمزة العلوى (القرن الثامن) .

(٢) من هذا ، البحث الذى قدمه م . خلف الله للمؤتمر الدولى الحادى والعشرين للمستشرقين فى باريس سنة ١٩٤٨ م ، : وموضوعه : « نظرية عبد القاهر الجرجانى فى (أسرار البلاغة) » ، والبحث الذى قدمه للمؤتمر الدولى الثانى والعشرين باستانبول سنة ١٩٥١ م وعنوانه : « الدراسات القرآنية كعامل فى تطور النقد العربى » وقد نشر هذا البحث فى مجلة كلية الآداب العدد السادس سنة ١٩٥٣ م .

(٣) قدم م . زغلول رسالة لجامعة الإسكندرية منح من أجلها درجة الماجستير فى الآداب ، مع مرتبة الشرف الأولى موضوعها : « أثر دراسات القرآن فى تطور النقد العربى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ونشرته دار المعارف سنة ١٩٥٥ .

أما الأديب اللغوى المحدث فهو أبو سليمان حَمْدُ [١] بن محمد بن إبراهيم الخطَّابى [٢] البُسْتىُّ . ولد فى رجب عام ٣١٩هـ ، وأقام ببُسْت [٣] وتوفى فيها وإليها نسب .

نشأ محبًا للعلم ، فاجتهد لتحصيله من كل سبيل ، وطوف من أجله فى البلاد الإسلامية شرقا وغربًا للتزود من العلماء الأجلاء ؛ رحل إلى العراق وتلقى العلوم بالبصرة وبغداد ، وذهب إلى الحجاز وأقام بمكة ردحًا من الزمان ، وعاد إلى خراسان ، واستقر به المقام فى نيسابور عامين أو أكثر ؛ وصنف بها بعض كتبه ، ثم خرج إلىَ ما وراء النهر ، وانتهت به الرحلة إلى مدينة بست ، فأقام بقية حياته وفيها توفى .

وكان رجلا عفًّا صالحًا كريمًا ، يتجر فيما يملك من الحلال ، وينفق من سعة على العلماء من إخوانه ومريديه .

وقد أخذ العلم عن البارزين من علماء عصره ، ورحل فى طلب الحديث على أئمته ، واجتهد فيه حتى صار إمامًا .

وتعلم الفقه على أبى بكر القَفَّال الشَّاشىّ وأبى على بن أبى هريرة وغيرهما من فقهاء الشافعية . ومن شيوخه فى اللغة والأدب نخبة من علماء بغداد فى عصره نذكر منهم إسماعيل الصفَّار ، وأبا عمر الزاهد ، وأبا العباس الأصمَ ، وأحمد بن سليمان النَّجَّار ، وأبا عمرو السمّاك ، . . . وغيرهم .

وروى عنه خلق منهم ، أبو مسعود الحسن بن محمد الكرابيسىّ البُستىّ ، وأبو بكر محمد بن الحسن المقرئ ، وأبو الحسن على بن الحسن الفقيه السَّجَزى [٤] وأبو عبد الله محمد بن على بن عبد الله النَّسَوى ، وأبو حامد الإسفراييني والحاكم النَّيسابورى . . . . وغيرهم .

---

(١) يذكره بعض من ترجم له باسم أحمد ، ومنهم ياقوت والسمعانى ، وذكر أنه سئل عن اسمه أحمد ، أو حمد فقال : سميت بحمد وكنت الناس أحمد .

(٢) نسبة إلى زيد بن الخطاب أخى عمر بن الخطاب . (٣) وهى مدينة من بلاد كابل .

(٤) وهو راوية النسخة التى بين أيدينا « بيان إعجاز القرآن » .

وكانت مكانته فى العلم مرموقة ، إذ أثنى عليه معاصروه . ولهج بفضله الشعراء . قال السَّمعانى ، « إمام فاضل كبير الشأن جليل القدر » . وقال فيه الثعالبى شعرًا ، وكان من بين الذين أشادوا به وذكروه ومجدوه وقالوا فيه الشعر الحافظ أبو طاهر السِّلفى الأَصبهانى نزيل الإسكندرية وفقيهها وعالمها ومحدثها فى القرن السادس الهجرى . وقد شرح له مقدمة كتابه « معالم السنن » ، ونوه بعلمه فيه أكثر من مرة .

وتوفى الخطابى بعد حياة حافلة بالعلم والأدب عام ٣٨٨ هـ[١] ومن إنتاجه شعر حسن يروى بعضه الثعالبى فى يتيمته ، وينقل منه ياقوت وابن العماد والسبكى وابن خلكان وغيرهم ممن ترجموا له .

وأما كتبه فكثيرة يغلب عليها الحديث والفقه . ونذكر فيما يلى أسماء ما جاء منها فى كتب التراجم التى رجعنا إليها وهى : معالم السنن [٢] ، وغريب الحديث[٣] ، وتفسير أسماء الرب عز وجل ، أو شرح أسماء الله الحسنى[٤] ، وشرح الأدعية المأثورة ، وشرح البخارى ، وكتاب العزلة . أو الاعتصام[٥] ، وإصلاح غلط المحدِّثين[٦] ، وكتاب الهَروى ، وكتاب أعلام الحديث[٧] ، وكتاب الغُنْية عن الكلام [وأهله] ، وكتاب شرح دعوات لأبى خُزَيْمة ، وبيان

---

(١) وذكر أنه توفى عام ٣٨٦ هـ ، وتجد ترجمته فى : إرشاد الأريب لياقوت ط مرجليوث ٢/٨١ – ٨٣ ؛ ط الرفاعى ٤/٢٤٦ ، والأنساب للسمعانى ٢٠٢ ، وبغية الوعاة للسيوطى ٢٣٩ ، وتذكرة الحفاظ للذهبى ٢/٢٢٣ / ٢٢٤ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣/١٢٧ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٢/٢١٨ – ٢٢٢ وعيون التاريخ لابن شاكر (التيمورية رقم ١٣٨٦) ١٢/١٢٧ ، وابن خلكان ط محيى الدين ١/١٥٣ – ١٥٥ وخزانة الأدب للبغدادى ط الصاوى (١٩٣٤) ٤/٣٠١ – ٣١١ .

(٢) وهو شرح لكتاب سنن أبى داود ، ومنه نسخة خطية بدار الكتب ، ونسخ أخرى بمكاتب ديدان الهند والجزائر (راجع بروكلمان ١/١٦١) .

(٣) وقد استدرك فيه على أبى عبيد القاسم بن سلام ، وأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة فى كتابيهما (غريب الحديث) ومنه نسخة بمكتبة عاشر أفندى باستانبول .

(٤) كما يسمى أحياناً فى بعض المراجع .

(٥) ومنه نسخة بالاسكوريال .

(٦) ومنه نسخة بالآستانة .

(٧) ويسميه السمعانى : « أعلام الحديث فى شرح صحيح البخارى » ومنه نسخة بالموصل .

إعجاز القرآن [١] . وكتاب معالم التنزيل .

وأما المعتزلى فهو : أبو الحسن علىُّ بنُ عيسى الرُّمَّانِىُّ [٢] . الذى ولد سنة ست وتسعين ومائتين من الهجرة بمدينة سامَرّا أو ببغداد . ونشأ نشأة فقيرة ، واشتغل بطلب العلم . واستعان على كسب قوته بالوراقة . وأخذ اللغة والنحو على جماعة من شيوخ العلم مثل أبى بكر بن دُريد وأبى بكر السَّرّاج والزَّجاج . وتخرج فى الكلام على يد أستاذه المعتزلى ابن الإخشيد .

ويذكر أصحاب التراجم أن الرُّمانى كان محبًّا للعلم ، واسع الاطلاع . متقنًا للأدب وعلوم اللغة والنحو ، لذلك لقب بالنحوى المتكلم شيخ العربية وصاحب التصانيف . وكان إلى جانب ذلك ميالاً لعلوم المنطق والفلسفة والنجوم . ويبدو أثر هذه العلوم فى تصانيفه وأسلوب تأليفه . وبرع فى علوم القرآن والتَّفسير وألف فيها ، وكانت له مشاركة فى الحياة العامة فى بغداد ، وفى أحداثها السياسية الهامة ، وكان محبوبًا مقدرًا عند العامة والخاصة .

وتوفى سنة ٣٨٦ هـ بعد حياة طويلة حافلة .

وتظهر مكانته العلمية لنا فيما كتبه عنه معاصره أبو حَيّان التوحيدى إذ قرر أنه لم ير مثله قط علمًا بالنحو ، وغزارة فى الكلام ، وبصرًا بالمقالات واستخراجًا للعويص ، وإيضاحًا للمشكل ، مع تألُّه وتنزه ودين ويقين وفصاحة وفكاهة ، وعفافة ونظافة . قال عنه ابن سنان : « إنه ذو مكان مشهور فى الأدب » .

وممن اعتمد عليه ونقل عنه من العلماء : ابن رشيق ، وابن سنان ، وابن أبى الإصبع العُدوانى المصرى والسيوطى . . . . وغيرهم . وقد نقلنا فى آخر هذا الكتاب بعض شواهد من تعليقاتهم على كتاباته وإفادتهم منه .

ومن كتبه التى تذكرها المصادر : التفسير الكبير [٣] . والجامع فى علوم

---

(١) وهه النسخة التى بين أيدينا ، ونسخة أخرى بليدن بهولندة (كما ذكر بروكلمان فى ترجمته) .

(٢) بضم الراء وتشديد الميم نسبة إلى الرمان وبيعه ، أو إلى قصر الرمان . وهو قصر بواسط .

(٣) راجع فى كتبه بروكلمان الملحق ١ / ١٧٥ .

القرآن [١] ، والنكت فى إعجاز القرآن ، وألفات القرآن ، وشرح معانى القرآن للزجاج ، وألفات القرآن ، وشرح كتابى المدخل والمقتضب للمبرد ، وكتاب الاشتقاق الكبير ، وشرح كتاب سيبويه ، ونكت سيبويه ، وأغراض كتاب سيبويه ، والمسائل المفردة من كتاب سيبويه ، وشرح مختصر الجَرْمى ، وكتاب شرح المسائل للأخفش ، وشرح الألف واللام للمازنى ، وشرح كتاب الموجَز والأصول لابن السراج ، وكتاب التصريف ، وكتاب الهجاء ، وكتاب والإيجاز فى النحو ، وكتاب المبتدأ فى النحو ، والاشتقاق الصغير والألفاظ المترادفة [٢] .

وتذكر المصادر أن له ما يقرب من مائة كتاب .

وأما السنىُّ الشافعى فهو أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجانى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى ، وتوفى على الراجح عام ٤٧١ هـ .

ولم نعثر لعبد القاهر برغم مكانته العلمية إلا على تراجم قصيرة ، وهى تتفق فى أنه كان عالمًا واسع الثقافة . وأنه كان متكلمًا على مذهب الأشعرى ، وفقيهًا على مذهب الشافعى . وأنه أخذ النحو على أبى الحسن محمد بن الحسن ابن أخت أبى على الفارسى المشهور . وبعضها يذكر أنه أخذ الأدب والنقد على القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى .

ومن مؤلفات عبد القاهر : المائة فى النحو . ودلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة . والرسالة الشافية . . . [٣] .

---

(١) ويسمى أحياناً باسم الجامع الكبير فى تفسير القرآن ، ويوجد بدار الكتب المصرية ، (بالتيمورية) تفسير جزء عم .

(٢) طبع هذا الكتاب بمصر . راجع فى ترجمته : معجم الأدباء لياقوت الحموى ط مرجليوث ٥ / ٢٨٠ وما بعدها ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣ /١٠٩ ، وتاريخ بغداد للخطيب ١١ /١٦ ط السعادة ١٩٣١ م ، والأنساب للسمعانى ٢٥٨ ، وطبقات النحويين للزبيدى ٥٥ ، والإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى ١ /١٣٣ ، وذكر المعتزلة للمرتضى ٦٥ ، وبغية الوعاة للسيوطى ٤٤٣ ط الخانجى سنة ١٣٢٦ هـ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان الملحق ١/١٧٥ . راجع الفصل الأخير قسم ب .

(٣) راجع فى ترجمته : دمية القصر للباخرزى ١٠٨ ، طبقات الشافعية للسبكى ٣ /٢٦٢ والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥ /١٠٨ ، وبغية الوعاء للسيوطى ٣١٠ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣/٣٤٠ ، وبروكلمان ١/٢٨٦ — ٢٨٧ ، والملحق جـ١ الترجمة رقم ٢٨٧ ص ٥٠٢ — ٥٠٤ .

تحليل الرسائل الثلاث :

١ – الأولى : كتاب بيان إعجاز القرآن تأليف أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي . . رواية أبي الحسن الفقيه السَّجزَى . وقد اعتمدنا فى نشرها على مخطوطة مصورة عن دار الكتب [١] مكتوبة بخط مغربى واضح به بعض الشكل . ولا يخلو من الأخطاء النحوية أحيانًا . وقد كتب على طرته :

كتاب بيان إعجاز القرآن

تأليف أبي سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابى رضى الله عنه

رواية أبي الحسن على بن الحسن الفقيه السَّجزى رحمه الله

وعليه إجازة تفيد أنه رواية عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن حيان الفِهرى عن الشيخ عبد الله الحجرى عن الشيخ الفقيه أبي طاهر السِّلفى الأصبهانى عن الشيخ عبد الله محمد بن بركات النحوى عن الشيخ أبي القاسم سعد بن على الزَّنجانى عن أبي الحسن السجزى عن المؤلف . وكانت هذه الإجازة سنة ست وستين وخمسمائة .

وأثبت فى ختام النسخة أنه « تم الكتاب بحمد الله وعونه ، صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله رب العالمين – أوائل عام ستة وألف عرفنا الله خيره ووقانا شره » وأثبت فى آخرها أيضًا أنها روجعت وقوبلت على النسخة الأصلية . وتقع المخطوطة فى ٢٣ ورقة . وكل صحيفة مسطرتها ٢١ سطرًا وبالسطرين ١٢ ، ١٤ كلمة .

طبعات الكتاب :

(١) طبعة السيد عبد الله الصديق سنة ١٩٥٣ م – ١٣٧٢ هـ بمطبعة دار التأليف بالقاهرة – من القطع الصغير فى ١٢٥ صفحة .

(١) عن نسخة خطية مغربية من المكتبة الصديقية بطنجة .

وهى عن الأصل الذى رجعنا إليه ، وقد راجعنا هذه الطبعة فتبين لنا بعض الملاحظات التى أبديناها فى مواضعها ، وأشرنا إليها فى الهوامش برمز « ا » .

ويلاحظ بصفة عامة أنه يتصرف أحيانًا فى العبارة بما لا يتطلبه السياق . وربما لجأ إلى تأويل لا ضرورة له ، وقد اهتم فى هوامشه بشرح ما جاء فى الرسالة من الأحاديث والأخبار والروايات الدينية .

(ب) طبعة الدكتور عبد العليم عميد القسم العربى فى الجامعة الإسلامية بعلى كرَه (الهند) ـ مطبعة خليل شرف ببومباى سنة ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م ونشر القسم العربى بجامعة على كَره .

ورجع المحقق فى هذه النشرة إلى نسخة ليدن التى أشرنا إليها . والتى أشار إليها بروكلمان ، ولهذا كان لهذه الطبعة أهميتها فى طبعتنا الثانية للرسالة ، وبمراجعتها أمكن إعادة قراءة بعض ما التبس من عبارات النسخة الأولى ، وتقويم بعض الألفاظ بحيث تكون أكثر ملاءمة . غير أننا مع ذلك لاحظنا وجود كثير من الخطأ والتصحيف فى هذه الطبعة مما يقلل من شأنها .

فكرة الرسالة ومنهجها :

فى هذه الرسالة يقرر الخطابى أن الناس قديمًا وحديثًا ذهبوا فى الموضوع كل مذهب من القول ولم يصدروا عن رِىّ . ويناقش فكرة الصرفة ، وفكرة تضمن القرآن للأخبار المستقبلة ، ولا يرتضيها شرحًا لأسرار الإعجاز . ثم ينتقل إلى موضوع البلاغة ، ويعيب على القائلين بها اعتمادهم على التقليد وعدم تحقيقهم وقصور كلامهم عن الإقناع . ويعالج هو الموضوع على طريقته فيذكر الأقسام الثلاثة للكلام المحمود ، ويقرر أن بلاغات القرآن قد أخذت من كل قسم من هذه حصة ،ومن كل نوع شعبة ، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى الضخامة والعذوبة ، وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين . لذلك كان اجتماعهما فى نظم القرآن فضيلة خص

بها ؛ يسرها اللطيف الخبير لتكون آية بينة لنبيه . وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله ؛ لأن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة وأوضاعها . ولا تدرك أفهامهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع النظوم التى بها ائتلافها وارتباطها بعضها ببعض .

وإنما صار القرآن معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمنًا أصح المعانى من توحيد وتحليل وتحريم . . . إلخ . ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق . أمر تعجز عنه قُوَى البشر .

وعمود البلاغة التى تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التى تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به . ومن هنا كاع القوم وجبنوا عن معارضة القرآن لما قد كان يؤودهم ويتصعدهم منه .

ويفند الخطابى بعض ما أورده المعترضون من شُبَه ضد أسلوب القرآن.

ومن الطرف فى رسالة الخطابى ما أورده من تحليل بعض النصوص تحليلا فنيًا جميلاً ، يكشف فيه عن ذوق وبصر بمواطن الجمال فى الكلام ، وقد أثبت فى آخر رسالته وجهًا آخر للإعجاز ذهب عنه الناس — كما يقول — وذلك صنيع القرآن بالقلوب ، وتأثيره فى النفوس . ويلاحظ أن هذه هى الفكرة التى دار حولها بحث عبد القاهر الجرجانى فى أسرار البلاغة إذ اعتبر مصدر البلاغة فى الكلام تأثيره فى النفوس [١] .

٢ — الرسالة الثانية :

« النكت فى إعجاز القرآن » لأبى الحسن على بن عيسى الرمانى . وقد اعتمدنا فى نشرها على ثلاث مخطوطات هى :

١ — مخطوطة بمكتبة بغدادلى وهى بالآستانة . ومنها نسخة مصورة محفوظة بمكتبة بلدية الإسكندية عن فيلم بمعهد المخطوطات التابع لجامعة

---

(١) شرح هذه الفكرة وناقشهام . خلف الله فى كتابه (من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده » الفصل الرابع ، القاهرة ١٩٤٧ .

الدول العربية . وكتب على طرتها رقم ٦٢ وعنوانه : « كتاب النكت فى إعجاز القرآن . تصنيف الشيخ الإمام أبى الحسن على بن عيسى الرمانى رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ » . وذيلت بختام ذكر فيه تاريخ النسخ سنة ٦٥٢ هـ بقلم محمد عبد العزيز الأنصارى . والمخطوطة بخط نفيس . وأوراقها ٢٢ ورقة ومسطرتها ١٧ سطرًا فى الصحيفة ويحوى السطر من ١٠ – ١٢ كلمة . ويوجد على بعض الصفحات تصحيحات قليلة بالهامش ، وببعضها أختام الوقف واسم الخزانة وقد جعلنا هذه النسخة الأصل وراجعنا عليه النسختين التاليتين .

(ب) وأما الثانية فهى النسخة الأولى بالخزانة التيمورية بدار الكتب تحت رقم ٢٩٨ تفسير خط . وقد جاء فى طرتها بخط أحمد بن إسماعيل ابن محمد تيمور ما يلى :

« مما استنسخناه ونحن فى بيت المقدس من المكتبة البديرية » ، وجاء فى سطر آخر : « ويظهر أنه قد سقط من هذه النسخة الباب العاشر وهو حسن البيان ص ٤٩ » . وذيلت بختام جاء فيه : « تمت هذه الرسالة بقلم الفقير العبد الضعيف محمد أمين بن الشيخ عمر الدنف الأنصارى خادم الحرم الشريف والمسجد والأقصى المنيف غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين . ١٥ ربيع الثانى سنة ١٣١٨ هـ » . والمخطوطة بخط نسخ واضح ، وقد أشرنا إليها بالرمز « ت » .

(جـ) أما الثالثة فهى النسخة الثانية بالخزانة التيمورية رقم ٥٣٤ تفسير خط بخط حديث سنة ٣١٨ « هـ أيضاً بقلم صاحب النسخة الثانية ، وفى نفس الحجم وقد أشرنا إليها بالرمز « ت٢ » .

والنسختان التيموريتان «ت١» ، «ت٢» عن أصل واحد هو المحفوظ بالمكتبة البديرية بالقدس ، وهى نسخة برواية القاضى أبى الحسن بن الحسين المتوفى سنة ٤٩٢ هـ [1] .

---

(١) هو قاض فقيه أصله من الموصل ثم جاء إلى مصر ودرس الفقه على مذهب الشافعى ، =

تحليل الرسالة :

تأخذ الرسالة شكل جواب عن سؤال وجه للمؤلف عن « ذكر النكت فى إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج » وهذاالجواب يتلخص فى أن وجوه الإعجاز تظهر من سبع جهات : ترك المعارضة مع توافر الدواعى وشدة الحاجة ، والتحدى للكافة ، والصرفة ، والبلاغة والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجز .

ويوجه المؤلف همه من هذه الجهات السبع إلى البلاغة فيذكر أنها على ثلاث طبقات : منها ما هو فى أعلى طبقة ، ومنها ما هو فى أدنى طبقة ، ومنها ما هو فى الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة . وبعد أن يشرح المؤلف كل واحدة من هذه يحصر البلاغة فى عشرة أقسام* أو أبواب هى : الإيجاز والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان .

ثم يستمر فيفسر هذه بابًا بابًا بتعريف الموضوع ثم بتقسيمه إلى نواحيه مستشهدًا لكل ناحية بالآية تلو الآية من القرآن ، وندر أن يستشهد ببيت من الشعر أو قول مأثور من النثر إلا ما استلزمته الموازنة بين الآية وما فى معناها من كلام العرب .

وبعد أن انتهى من مقصوده — وهو التعريف بأبواب البلاغة العشرة خصص بضع صفحات فى آخر كتابه للتعريف بالوجوه الأخرى الستة التى أشار إليها فى أول الكتاب ، والتى تؤلف مع البلاغة وجوه الإعجاز فى نظره

= سمع عبد الرحمن بن النحاس وأبا سعيد الماليني وانتهى إليه علو الإسناد بمصر، ولى القضاء يوماً واستعفى ثم اعتزل الناس ، وكان يوصف بدين وعبادة ، وخرج له أبو نصر الشيرازى عشرين جزءاً وسماها ، الخلعيات ، ومن تصانيفه المغنى فى الفقه فى أربعة أجزاء . ولد سنة ٤٠٥ هـ وعمر طويلا ثم توفى وعمره ثمان وثمانون عاماً سنة ٤٩٢ هـ ودفن بالقرافة بمصر (راجع ابن خلكان ط محيى الدين ٢/٧ ، ، وابن العماد ٣ / ٣٩٨) .

* أثبتنا فى فصل التعليقات (فصل ٤ قسم ٣) نبذة عن تطور مصطلحات البلاغة إلى القرن الرابع الهجرى الذى ظهر فيه الرمانى والخطابى .

وأسلوب المؤلف فى معالجة موضوعه علمى منطقى يحتاج فى كثير من المواضع إلى الجهد فى فهمه وتتبعه ، ويغلب عليه الطابع الكلامى ، والمنزع الاعتزالى فى تأويل القرآن .

٣ ـ الرسالة الثالثة :

« الرسالة الشافية فى الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى » .

وقد اعتمدنا فى نشرها على مخطوطة مصورة عن الأصل المحفوظ ضمن مجموعة بدار الكتب ، وتبدأ الصفحة الأولى فى الرسالة برقم ١٩٠ فى المجموعة وتنتهى برقم ٢٠٨ .

وهى مكتوبة بخط نسخ واضح مشكول ، به كثير من الأخطاء الإملائية وبعض أخطاء الشكل . وعلى الصفحة الأولى بخط الناسخ هذه العبارة : « هذه الرسالة خارجة من كتابة الموسوم بدلائل الإعجاز » . وبمراجعة كتاب الدلائل المطبوع تبيّنَ أن هذه الرسالة ليست خارجة منه نصًا . والرسالة تحتوى على ١٨ ورقة وبضعة أسطر ، من القطع المتوسط . مسطرتها ١٨ سطرًا والسطر يحوى بين ١٢ ـ ١٤ كلمة ، بدون تاريخ .

وببعض الصفحات أختام وقف .

تحليل الرسالة :

تناول عبد القاهر فى هذه الرسالة بعض نواح من فكرة الإعجاز ، أخصها إثبات الإعجاز عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن ، وفى هذا يقرر أن العبرة بعجز العرب المعاصرين للرسول عليه السلام دون المتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمانه ، وعلى هذا الأصل ينتقل عبد القاهر إلى النظر فى دلائل أحوال العرب وأحوالهم حين تلى عليهم القرآن وتُحدوا إليه .

أما الأحوال فدلالتها من حيث كان المتعارف من عادات الناس ألا يسلموا لخصومهم الفضيلة وهم يجدون سبيلا إلى دفعها ، وعبد القاهر يطيل

فى هذه النقطة مستشهدًا بالمألوف فى أحوال الاجتماع ، والمعروف فى أحوال الشعراء .

وأما الأقوال فكثيرة يروى منها عبد القاهر حديث ابن المغيرة ، وحديث عتبة بن ربيعة . وحديث أبى ذر . وينتهى من هذا إلى القول بأنه على أساس لالة الأحوال والأقوال وجب القطع بأن القرآن معجز ، ناقض للعادة وأنه فى معنى قلب العصا حية وإحياء الموتى فى ظهور الحجة على الخلق كافة .

ويتعرض عبد القاهر فى سياق الرسالة لنواح فى الميدان الأدبى يُبين فيها تفاوت الشعراء فى أقدارهم واشتمال كلامهم على البليغ وغير البليغ ، ثم يناقش فى نهاية رسالته فكرة الصرفة ويفند رأى القائلين بها . ويلحق بالرسالة فصولا قصيرة مستقلة يزيد فيها بعض جوانب الموضوع شرحًا ويجيب عن بعض اعتراضات .

وظاهر من نظام هذه الرسالة أن عبد القاهر كتبها ليثبت حقيقة الإعجاز لا ليبين أسراره . أما تفصيل القول فى أسرار الإعجاز من جهة بلاغة الكلام ونظمه ، فقد فصل عبد القادر القول فيه فى كتابه الكبير المستقل الذى سماه « دلائل الإعجاز » وهو كتاب مطبوع معروف . وقد أثبتنا منه فى نهاية التعليقات * القدر الضرورى لبيان وجهة نظر عبد القاهر فى الإعجاز البلاغى لتتم الفائدة وتكمل الفكرة .

الاسكندرية فى ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م

محمد خلف الله **محمد زغلول سلام**

---

* راجع الفصل الأخير قسم جـ .